

نظرة إجمالية في حركة التأليف باللغة العربية في الهند وخاصة الإقليم الشمالي منها

الدكتور جميل أحمد

أقدمُ العوامل الرئيسية التي تمهّد بها السبيل للصلة اللسانية بين شبه القارة الهندية الباكستانية والعرب : الملاحه العربية في المياه الهندية ، قبل الإسلام بمئات عديدة نتج عنها التفاهم على تبادل البضائع والسلع . ثم خطت اللغة العربية خطوة أخرى نحو الانتشار في جنوب الهند في فجر الإسلام عندما اتخذ التجار العرب جاليات لهم بساحل ملبار (كيرالا) . ولكن الذي عمل نهائياً لانتشار اللغة العربية ورواج علومها في شبه القارة الهندية الباكستانية شيئاً فشيئاً هو الحركة الإسلامية التي قادها محمد بن القاسم . وبعدها توطلدت قواعدها في السند كلتها من ديبيل إلى تخوم كشمير تقدمت موجتها إلى دهلي ومنها إلى الإقليم الشمالي (بوبي) حتى عمّت نواحي الهند ، فحدثت نهضة علمية وظهرت ثمارها التي منقطف بعضها لنجعلها موادّ مقالتنا هذه .

بقي الحكم للعرب في السند قرنين ونصف قرن ، فظهرت جاليات العرب وقوي اختلاطهم بالوطنيين على مرّ الزمن . ولذلك الاختلاط سهمٌ كبير رائع في تمكين اللغة العربية وتشييد آدابها الإسلامية في البلاد المفتوحة . أمّا تمكين اللغة العربية في السند وأدنى البنجاب فيشهد المقدسي أن

« ديبيل بحرية قد أحاط بها نحو من مائة قرية أكثرهم كفار كلهم تجار ،
وكلهم سندي وعربي » (١) .

وهكذا يشهد الإصطخري أن لسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها
العربية والسندية (٢) .

وأما تاريخ الآداب العربية والعلوم اللسانية خلال هذه المدة فهو في
ظلام دامس ، حتى لا نكاد نسمع عن حلقات الدرس لنشر علوم القرآن
والحديث والفقهاء التي كان المسلمون يهتمون بها حينذاك في جميع الأراضي
المفتوحة ، كما لا نسمع عن الكتب التي كانت تدرس فيها ، أو التي ألفت
في تلك الحقبة من الزمن . مع ذلك تتوفر لدينا بعض الأدلة على نشاط
العرب في هذا المضمار ومنها ما يلي :

من المعلوم أن المسلمين كلما استتب أمرهم في بلد أسسوا فيها مسجداً
يجتمعون فيه في غير أوقات الفرائض ، للتشاور في أمور دينهم ودنياهم .
يعقدون فيه حلقات درس القرآن والحديث والفقهاء والقضاء . وأول مسجد
بني في السند كما ثبت في التاريخ هو المسجد الذي بناه محمد بن قاسم بالديبل
بعدهما فتحت عنوة . ففي البلاذري :

« واختط محمد للمسلمين بها وبني مسجداً وأنزلها أربعة آلاف » .
وبجانب هذه الحقيقة نجد قوماً من العلماء وردوا أرض السند ، ونجد
قوماً من الرواة نسبوا إلى ديبيل ولكل منهم مكانة بارزة في التاريخ الإسلامي
وكذلك نقرأ عن مدينة المنصورة في معجم البلدان :

« مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ذات جامع كبير سواريه ساج » (٣) .

(١) أحسن التقاسيم ٤٧٩

(٢) المسالك الممالك ١٠٥ . وانظر أيضاً ابن حوقل (ليدن) ٢٣٢

(٣) البلدان (ط . بيروت) ٢١١ / ١٨

وقد وجدها المقدسي عامرة بأهل العلم عندما زارها فقال :
« العلم وأهله كثير ، (١) .

وقد سجل التاريخ أيضاً أن محمداً لما فتح الرور صلحاً بنى بها مسجداً (٢)
وولى الفقيه موسى بن يعقوب الثقفي القضاء والخطابة بها وأن أولاده
توارثوها ، احدهم الفقيه الخطيب إسماعيل بن علي الثقفي اجتمع به صاحب
« جج نامه » سنة ٥٦١٣ / ١٢١٦ م .

ووجود هذه المساجد وهؤلاء الرواة والفقهاء يدل على أن حلقات
الدرس كانت ولا بد تنتظم عند ذلك ، وكان الاهتمام فيها بالحديث والفقه
أكثر من غيرهما ، ولكن من المؤسف أن التاريخ لم يحتفظ بأسماء الكتب
التي كانت تدرس فيها ، بل أوضح الشواهد على ما نحن بصدده قول المقدسي :
« أكثرهم (أهل السند) أصحاب حديث ، ورأيت القاضي أبا محمد
المنصوري . . . وله تدريس وتصانيف . . . ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب
أبي حنيفة ، (٣) .

وأما المؤلفات في عهد الحكم العربي فربما ألف بعض الرواة كتباً
عديدة في الحديث ، و « سارت بمصنفاتهم الركبان إلى الآفاق » كما يقول

(١) أحسن التقاسيم ٤٧٩

(٢) البلاذري ٥٣٨

(٣) أحسن التقاسيم ٤٨١ . أما أبو محمد المنصوري فهو أحمد بن محمد القاضي
الداوودي المنصوري الذي ذكره ابن النديم وياقوت الحموي والذهبي « بأبي العباس » .
فمن الممكن أن يكون له كنيستان أو وقع السهو من المقدسي . انظر الفهرست
(الرحمانية) ٣٠٦ ، و (الاستقامة) ٣٢٠ ، و البلدان (بيروت) ٢٦٧/١١ وميزان
الاعتدال ٦٦/١ برقم ٥٣٨ و ٦٢/١ برقم ٥١٧ في ترجمة أحمد بن محمد أبي روق .

٤ (١٠)

صاحب الثقافة (١) ولكننا مع الأسف لا نعرف عنهما شيئاً حتى لا نكاد نعثر على أسمائها غير أسماء مؤلفات أبي العباس أحمد بن محمد المنصوري قاضي المنصورة، وهي كتاب المصباح كبير وكتاب الهادي وكتاب النير (٢).

إن الكتاب العربي الوحيد الذي وصل إلينا في حلة اللغة الفارسية هو « حجج نامه » أقدم مصدر ألف في تاريخ فتوح بلاد السند. كتبه آباء الفقيه إسماعيل بن علي الثقفى السندي القاضي بمدينة الرور، ورآه علي بن حامد الكوفي السندي عندما اجتمع به في عام ٥٦١٣هـ / ١٢١٦م فنقله إلى اللغة الفارسية. لا نستطيع أن نضبط تاريخ تأليفه ولكن من الأغلب أنه ألف حوالي ٢٢٥ هـ إذ أكثر رواياته عن أبي الحسن علي المدائني. والمدائني توفي إما سنة ٢١٥ هـ أو سنة ٢٢٥ هـ.

(١) الثقافة الإسلامية في الهند ١٣٥. « اعلم أن محمد بن القائم الثقفى فتح بلاد السند . . . وتمكنت فيها دولة العرب كسائر البلدان ودخلها أتباع التابعين . . . وتتابع الناس بعد ذلك من أهل العلم . . . وأخذوا الحديث ورووه بالحفظ والإتقان مدة أربعة قرون. وسارت بتصنفاتهم الركبان إلى الآفاق. أشهرهم إسرائيل بن موسى البصري نزيل الهند، ومنصور بن حاتم النحوي، وإبراهيم بن محمد الديبلي، وأحمد بن عبد الله الديبلي، وأحمد بن محمد المنصوري أبو العباس، كان قاضي المنصورة، وله مصنفات على مذهب الإمام داود بن عتي الظاهري، وخلف بن محمد الديبلي، وشعيب بن محمد الديبلي، وأبو محمد عبد الله المنصوري، وعلي بن موسى الديبلي، وفتح بن عبد الله السندي، ومحمد بن إبراهيم الديبلي، وخلق آخرون. »

وفي السمعاني ٢٣٦ أن شعيب بن محمد الديبلي « قدم مصر وحدث بها، وقال أبو سعيد بن يونس كتبت عنه ». وفي المصدر نفسه ٤٣٥ أن الخطيب البغدادي كتب عنه. فيظهر من هاتين العبارتين أن بعض الناس جمعوا روايات علماء السند في الدفاتر.

(٢) الفهرست (الرحمانية) ٣٠٦، و (الاستقامة) ٣٢٠.

لقد فتح العرب السند وجانباً من الهند فلم تتعدّها لها اللغة العربية ، ثمّ مدّ الفتح الإسلامي إلى أكثر بلاد الهند السلطان شهاب الدين محمد الغوري (٥٨٢ - ٥٦٠٢ / ١١٨٦ - ١٢٠٥ م في الهند) ، وبماليكه (٦٠٢ - ٦٨٨ / ١٢٠٦ - ١٢٩٠ م) ، وغيرهم من ملوك الأسرة الخلجية (٦٨٨ - ٥٧٢٠ / ١٢٩٠ - ١٣٣٠ م) والأسرة التغلقية (٧٢٠ - ٥٨١٧ / ١٣٢٠ - ١٤١٤ م) . فانتشرت اللغة العربية في بقية أنحاء الهند كلغة دين وعلم وثقافة في ظل الإسلام إذ لم تبق بعد الحكم الحربي كلغة الدولة الرسمية . في عهد الغوري وعهد بماليكه تأسست المدارس لأول مرة برعاية الدولة^(١) ووفد إليها طائفة من العلماء الأعاجم البارعين في اللغة والنحو والفقّه وأصول الفقّه والكلام والتصوف ، فعكفوا في المدارس جادّين على ترقية هذه العلوم كما يظهر ذلك من مناهج الدراسة الذي رتبّه صاحب الثقافة (السيد عبد الحي اللكنوي) بعد تصفّح الكتب الكثيرة بشق النفس والاجهد البليغ ، لم يزل متداولاً من أوائل القرن السابع إلى أوائل القرن التاسع أي من عهد المماليك إلى عهد التغلقين^(٢) . ولم تزل المدارس تزداد بازدياد المتخرجين والمثقفين فإن مدينة دهلي وحدها كانت حافلة بألف مدرسة في أيام محمد بن تغلق (٧٢٥ - ٥٧٥٢ / ١٣٢٤ - ١٣٥١ م)^(٣) .

وفي هذا العصر الذهبي (من القرن ٧ إلى القرن ٩) بدأت تأتي ثمرات علمية ناضجة من المتون والشروح . ناهيك بما يلي من أسماء بعض الكتب في الفنون المختلفة :

- (١) طبقات ناصري ١٨٨ - ١٨٩ ؛ هندوستان كي درسكاهين ١٦ - ١٧
 (٢) انظر الثقافة ١١ - ١٢ ؛ الندوة : فبراير ١٩٠٩ ص ٧ ؛ هندوستان كي درسكاهين ٩٠ - ٩٢
 (٣) صبح الأعشى ٦٩/٥

اللغة : كتاب الأضداد . أسماء الأسد . أسماء الذئب . أسماء الفأر .
العباب الزاخر واللباب الفاخر في ١٢ مجلداً . مجمع البحرين في ٢٠
مجلداً كاتِبها رضي الدين الحسن بن محمد الصَّغاني اللاهوري (ف ٥٦٥٠ / ١٢٦٢ م)^(١) .

القرآن : تبصير الرحمن وتبصير المنان لعلي بن أحمد المهائمي (ف
٥٨٣٥ / ١٤٣٢ -) وقد طُبِع مرتين^(٢) .

الحديث : مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية
(المطبوع مرارا) . مصباح الدجى من صحاح أحاديث المصطفى . الشمس
المنيرة . الرسالة في الأحاديث الموضوعة (راهبور برقم ١٢٠) . وشرح
صحيح البخاري وغير ذلك للصغاني اللاهوري^(٣) .

الفقه : صوان القضاء لمحمد بن إسماعيل الخطيب نزيل دهلي (كان
حيّاً في ٥٦٤٠ / ١١٤٢ م)^(٤) . كتاب الحج والمناسك لأبي بكر
إسحاق بن تاج الدين أبي الحسن المعروف بابن التاج (توفي بعد ٥٧٣٦ /
١٣٣٥ م)^(٥) . وخلاصة الأحكام بشرائط الإيمان والإسلام لابن التاج
المذكور^(٦) . واليغار الزاخرة لحسام الدين الدهلوي (ف سنة ٥٧٧٠)^(٧) .

(١) الثقافة ٣١ . زبيد : India's Contribution to Arabic lit: ٥٥٢ ؛
(٢) طبع بالمطبعة المجتباية بدلهي أولاً سنة ١٨٦٩/١٣٨٦ ، ثم طبع في
بولاق بصر سنة ١٨٧٨/١٢٩٥

(٣) الثقافة ١٤٢ . زبيد ٢٩٢ - ٢٩٣

(٤) آصفية ١٠٥٠/٢ برقم ١٠

(٥) برلين ٤٠٦٤ كما في زبيد ٣١٢

(٦) برلين ١٧٩٨ و ١٧٩٩ نقلًا عن زبيد

(٧) آصفية ١٠٧٢/٢ برقم ١٥٠

وشرح المغني ، وغيره من الكتب العديدة لأبي حفص سراج الدين عمر بن إسحاق الهندي (ف ٥٧٧٣ / ١٣٧١ م)^(١) . والفتاوي التتارخانية لعالم بن العلاء الحنفي الاتدرتي (في عهد فيروز شاه تغلق) . وشروح متعددة على الهداية ، منها شرح للقاضي حميد الدين مخلص الدهلوي (ف ٥٧٦٤ / ١٣٦٢ م)^(٢) .

وفي عام ١٨٠١ / ١٣٩٨ م شنّ تيمورلنك (الأعرج) غارة على ثغور الهند ، فلبجأ بعض العلماء المدرسين إلى جونبور (بالإقليم الشمالي) عاصمة المملكة الشرقية المستقلة عن دهلي (٧٩٦ - ١٨٨١ / ١٣٩٤ - ١٤٧٦ م) . وكرسوا حياتهم لنشر الفنون والعلوم فأثفواهم وتلاميذهم كتباً عديدة فراجت اللغة العربية وآدابها في بلاد الإقليم الشمالي ولم تزل تزدهر بها حتى برزت مكانة الإقليم الشمالي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر / الثامن عشر والتاسع عشر .

وفي أوائل القرن العاشر / السادس عشر ازدادت رغبة علماء الهند إلى العلوم العقلية وذلك بعد ماخربت ملتان ، وغادرها عبد الله بن الهداد التلبي الملتاني (ف ٩٢٢ / ١٥١٦ م) إلى دهلي مصحوباً بأخيه عزيز الله (ف ٩٣٢ هـ) وكلاهما كان راسخ القدم في العلوم العقلية . أما عبد الله فتقرب لدى السلطان سكندر اللودهي (٨٩٤ - ٩٢٣ / ١٤٨٨ - ١٥١٧ م) وحظي عنده إلى حدّ أن السلطان كان نفسه يزوره ويسلم عليه (٣) . وأما أخوه فسار إلى سنهبل بالإقليم الشمالي وتهافت الناس على كل منها فانتشر المنطق والحكمة والكلام في الهند إلى مدى بعيد ، ولم يكن يدرس فيها من قبل

(١) انظر زبيد ٣١٣

(٢) الثقافة ١٠٥

(٣) مآثر الكرام ١٩١ ؛ النزهة ٢٠٣/٤ - ٢٠٥

غير شرح الشمسية في المنطق ، وشرح الصحائف في الكلام (١). ثم ورد الهند بعض علماء فارس كالخطيب أبي الفضل الكازروني (ف ٥٩٥٩ / ١٥٥١ م) أستاذ الشيخ مبارك الناكوري (٢). وأبي الفضل الحسيني الاسترآبادي (٣)، وهما من تلاميذ المحقق جلال الدين محمد بن أسعد الدواني (ف ٩٠٧ / ١٥٠١ م) والعلامة فتح الشيرازي (ف ٩٩٧ / ١٥٨٨ م) الذي دخل آكره (بالإقليم الشمالي) سنة ٩٩١ هـ وتقرّب إلى سلطان الهند أكبر التيموري وقرر مؤلفات المحقق جلال الدواني والصدرا الشيرازي وغيرها من علماء فارس في الدروس حتى تلقاها علماء الهند بالقبول (٤). فراجت الحكمة والمنطق في أكثر أنحاء الهند ، وبقي رواجها فيها إلى تغلب بريطانيا على الهند ولا سيما في بلاد الإقليم الشمالي ، فإن علماءها شغفوا بالحكمة والمنطق إلى حد الإضراب عن العلوم الدينية كما يظهر من مناهج الدراسة المتداولة في المدارس الغربية والمؤلفات العربية .

وفي العصر نفسه شاءت الحكمة الإلهية أن تمنّ على الهند بالحديث ، فورد إليها بعض العلماء بالحديث كأمثال محمد بن أبي بكر المعروف بابن الدماميني (ف ٨٢٧ / ١٤٢٤ م) (٥)، والشيخ رفيع الدين المحدث الشيرازي

(١) في منتخب التواريخ ١/٣٢٣ - ٣٢٤ : « وازجلة علماء كبار در زمان سلطان سكندر شيخ عبد الله طلبي دردهلي وشيخ عزيز الله طلبي درسنبهل بودند واين هردو عزيز هتكام خراي ملتان بهندوستان آمده علم معقول رادر آن ديار رواج دادند وقبل ازين بغير از شرح شمسية وشرح صحائف از علم منطق وكلام در هند نبود » انظر أيضاً مآثر الكرام ١٩١ - ١٩٢

(٢) آئين أكبرى ٣/٢٠٣ ؛ النزهة ٤/١٢ - ١٣

(٣) ترجمته وردت في النزهة ٤/١٣

(٤) مآثر الكرام ٢٣٦ - ٢٣٨

(٥) ترجمته في الضوء اللامع ٧/١٨٤ - ١٨٧

(ف ٥٩٥٤ / ١٥٤٧ م) الذي كان أخذ المنطق والحكمة عن المحقق الدواني ،
والحديث عن الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المصري (ف ٥٩٠٢ /
١٤٩٦ م) ، والذي قدم أكره بالإقليم الشمالي في أيام السلطان سكندر
اللوهي ، والشيخ ضياء الدين الحسيني الذي درس صحيح البخاري وغيره من
كتب الحديث خمسة أعوام وأربعة أشهر في كاكوري بالإقليم الشمالي (١) ،
ودفن هناك ، والسيد مير مرتضى الشريف الشيرازي (ف ٥٩٧٢ / ١٥٧٤ م)
أحد تلاميذ ابن حجر المكي (ف ٥٩٧٤ / ١٥٦٦ م) (٢) ، والمحدث محمد سعيد
الخراساني المشهور بـ «كلان» (ف ٥٩٨٣) (٣) أحد أساتذة الشيخ علي القادري
الهروي (ف ١٠١٤ / ١٦٠٥ م) فانتشر الحديث في بلدة أكره (٤) ، وتوفرت
رغبة العلماء الهندين في الحديث ، إلى أن رحل طائفة منهم إلى الحرمين
الشريفيين حيث أخذوه عن علمائها ثم رجعوا إلى الهند ونشروه إلى حد
الإعجاب (٥) ، فقد اعترف السيد محمد رشيد رضا مثلي « مجلة المنار »
بخدماتهم بقوله :

« ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقصي
عليها بالزوال من أمصار الشرق ، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز
منذ القرن العاشر للهجرة » (٦) .

(١) النزهة ٤ / ١٦٢

(٢) ترجمة السيد وردت في النزهة ٤ / ٣٥٠ ؛ إسحاق ٩٩ (وفيه سنة
وفاته ١٥٦٦ / ٩٧٤)

(٣) ترجمته في الأبيجد ٩٠٤ ؛ النزهة ٤ / ٣٣١ - ٣٣٢ (وفيه سنة
وفاته ٥٩٨١) .

(٤) انظر تفصيل تطور الحديث في هذا العصر في إسحاق to Hadith
India's Contribution ٨٥ - ١٠٠

(٥) انظر التفصيل في إسحاق ١١٧ - ١٣٣

(٦) مفتاح كنوز السنة (مقدمة الكتاب) ص « ق »

واعترف بها الشيخ محمد زاهر الكوثري (ف ١٣٧١ هـ) بقوله :
 و ثم بعد انقراض الدولة المصرية في أوائل القرن العاشر للهجرة توزعت
 الأقطار النشاط العلمي وكان حظ إقليم الهند من هذا الميراث - منذ منتصف
 القرن العاشر - هو النشاط في علوم الحديث ، فأقبل علماء الهند عليها إقبالاً كلياً ،
 بعد أن كانوا منصرفين إلى الفقه المجرد والعلوم النظرية . ولو استعرضنا ما
 لعلماء الهند من الهمة العظيمة في علوم الحديث من ذلك الحين - مدة ركود سائر
 الأقاليم - لوقع ذلك موقع الإعجاب السكبي والشكر العميق (١) .

ولكن لم يعم الحديث الإقليم الشمالي إلى أن تصدى لهذا الهدف النبيل
 الشيخ حسن علي الصغير المحدث الكهنوي (ف ١٢٥٩ / ١٨٣٩ م) الذي
 تتلمذ عليه بعض علماء فرنكي محل ، فتسرب الحديث إلى مدرسة فرنكي
 محل ؛ والشيخ محمد قاسم النانوتوي (ف ١٢٩٧ / ١٨٨٠ م) مؤسس دار
 العلوم بديوبند ، والنواب صديق حسن خان (ف ١٣٠٧ / ١٨٨٩ م) الذي
 شتم عن ساق الجد لنشره ، والشيخ عبد الحي الفرنكي محلي (ف ١٣٠٤ /
 ١٨٨٧ م) الذي درس وألف فيه .

لتوجه الآن إلى الإقليم الشمالي الهندي الذي كانت اللغة العربية به
 مزدهرة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر / الثامن عشر والتاسع عشر ،
 وكان لأدائها بهجة ونضارة بفضل العلماء المدرسين المؤلفين الذين أوقدوا مشاعل
 العلم التي تضاءلت في النواحي الأخرى في البلاد الهندية التي سبقت الإقليم
 الشمالي في مضمار اللغة والعلم والأدب . ومن الطريف أنها دخلت هذا الإقليم
 الشمالي النائي عن موطنها وموطن الإسلام في زمن متأخر على أيدي الأعلام
 الذين لم تكن اللغة العربية لغتهم الأولى . ومع ذلك نالت مكانة مرموقة

فيه ، وفي المعاهد ومناهج الدراسة العليا وفي حقول التصنيف والتأليف، ومن الطريف أيضاً أن مستواها في التأليف لم يزل يتحسن يوماً فيوماً ، فالماثر التي تركها العلماء الذين عاشوا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الذي أصبح فيه للاستعمار البريطاني النفوذ الكامل في الإقليم الشمالي تمتاز عما سبقها من التأليف بالمعرفة الواسعة في مواد اللغة وسهولة الأسلوب وإرسال العبارة على الطبيعة . لنفت أنظارنا مثلاً إلى عالين كبيرين تركا في العنون المختلفة آثاراً خالدة باللغة العربية ، أحدهما الشيخ عبد الحي الفرنكسي محلي (ف ١٣٠٤ / ١٨٨٧ م) الذي خدم العلم وأضاف إلى المكتبة العربية دراسات وأبحاثاً قيمة ، وثانيها السيد نواب صديق حسن خان الذي أنتج إنتاجاً ضخماً ، وقدم إلى شتى الأقطار الإسلامية مادة غزيرة في الأدب والشريعة .

ومما يدل على تقدم الثقافة العربية في الإقليم الشمالي أن روادها لم يتزعموا الحركة العالمية ، فحسب بل الثورة السياسية أيضاً . وبما أن الجانب السيامي خارج عن موضوعنا فإننا نكتفي بذكر أسماء مولانا محمد قاسم النانوتوي (ف ١٢٩٧ / ١٨٨٠ م) الذي بنى دار العلوم بديوبند ، والسيد أحمد خان (ف ١٨٩٨ م) مؤسس جامعة علي كره ، ومولانا شبلي النعماني (١٩١٤ م) أحد المهتمين بأمور دار العلوم ندوة العلماء بلكنهو ، وشيخ الهند محمود حسن النانوتوي وغيرهم من رجال السياسة الذين لعبوا دوراً فعالاً في إنعاش العلم والأدب . فهذا دليل واضح على أن اللغة العربية استمرت نهضتها وتنوع نشاطها في مختلف حقول الثقافة والدراسة .

لنتكلم هنا بإيجاز عن أصناف المؤلفات التي ظهرت في العصر الذي حددناه لمقالتنا هذا أي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر . أما القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر بمتداً إلى الثورة الهندية (١٨٥٧ م) فقد عني فيه علماءنا بتأليف الكتب في المنطق والحكمة وتعليق الشروح والحواشي على الكتب التي اعتنوا بشأنها بالدروس والإقراء ، فمنها :

١ - مسئلم الثبوت في أصول الفقه للشيخ محب الله البهاري (ف ١١١٩ / ١٧٠٧ م) الملقب بفاضل خان .

ومن أشهر الشارحين له الملا نظام الدين السهالوي (ف ١١٦١ / ٨ / ١٧٤٧ م) ،
والشيخ أحمد عبد الحق الفرنكي محلي (ف ١١٨٧ / ١٧٧٤ م) ، والملا
حسن الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١١٩٩ / ١٧٨٤ م) ، وبجر العلوم عبد
العلي (ف ١٢٢٥ / ١٨١٠ م) ، والملا محمد مبین (١٢٢٥ / ١٨١٠ م) ،
والشيخ أمين الله الفرنكي محلي (١٢٥٣ / ١٨٣٧ م) ، وولى الله اللكهنوي
(ف ١٢٧٠ / ١٨٥٣ م) ، ومحمد بركة الإله آبادي (من رجال ١٨) .

٢ - شرح العقائد العضدية لجلال الدين محمد بن أسعد الدواني (ف ١٥٠١ / ١٩٠٧ م) .

ومن الشروح والحواشي عليه شرح لأمان الله البنارسي (ف ١١٣٣ / ٢١ - ١٧٢٢) وشرح لنظام الدين السهالوي ، وحاشية معروفة بالعروة
الوثقي عليه لكهال الدين الفتح بوري (ف ١١٧٥ / ١٧٦١ م) ، وحاشية
لأبي الخير الفاروق الجونبوري (ف ١١٩٨ / ١٧٨٣ م) ، وحاشية لمحمد بركة
الإله آبادي (من رجال ١٨) ، وحاشية للسيد محمد قائم الإله آبادي
(من رجال ١٨) .

٣ - حاشية مير زاهد على الأمور العامة من شرح المواقف في الكلام :

ومن محشيا القاضي مبارك الفاروقي الكوباموي (ف ١١٦٢ / ١٧٤٨ م) ،
والشيخ أحمد عبد الحق الفرنكي محلي (ف ١١٨٧ م) ، ومحمد ولي بن غلام
مصطفى السهالوي الفرنكي محلي (ف ١١٩٨ / ١٧٨٣ م) ، والملا محمد حسن
(ف ١١٩٩ م) ، والشيخ أحمد علي السنديلي (ف ١٢٠٠ / ١٧٨٥ م) ،
وبجر العلوم عبد العلي اللكهنوي ، والملا محمد مبین اللكهنوي (ف ١٢٢٥ / ١٨١٠ م) ،
والشيخ حيدر علي السنديلي (ف ١٢٢٥ / ١٨١٠ م) ، وأمين

الله الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٢٥٣ / ١٨٣٢ م) ، والشيخ ظهور الله اللكهنوي (ف ١٢٥٦ / ١٨٤٠ م) ، والشيخ ولي الله الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٢٧٠ / ١٨٥٣ م) ، وارتضاء علي خان الكوباموي (ف ١٢٧٠ / ١٨٥٣ م) ، ومحمد عظيم الكوباموي الملاوي (من رجال ١٨) ، ومحمد قائم الإله آبادي (من رجال ١٨) .
٤ - شرح هداية الحكمة المعروف بالصدرا :

من علقوا عليه الشروح والخواشي حمد الله السنديلي (ف ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م) والملا نظام الدين السهالوي ومحمد أعلم السنديلي (ف ١١٩٨ هـ / ١٧٨٣ م) ، والملا محمد حسن الفرنكي محلي اللكهنوي ، وبجر العلوم عبد العلي ، والملا محمد ميين ، والسيد دلدار علي الشيعي اللكهنوي (ف ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩ - ٢) ، والشيخ محمد معين اللكهنوي (ف ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م) وولي الله اللكهنوي ، ومحمد ارتضاء علي خان الكوباموي ، ومحمد أمجد القنوجي ، (من رجال ١٨) ، ومحمد عظيم بن كفاية الله الفاروقي ، وعماد الدين العثماني اللبكني ، (من تلاميذ الملا حسن المتوفى ١١٩٩ هـ / ١٧٨٤ م وبجر العلوم عبد العلي المتوفى ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م) .

٥ - حاشية مير زاهد علي شرح التهذيب لجلال الدين الدواني المعروفة في الهند بـ « مير زاهد ملا جلال » .

من مؤلفي الشروح والخواشي عليها القاضي مبارك ، ومحمد وارث رسول نما البنارسي (ف ١١٦٦ هـ / ١٧٥٣ م) ، والملا كمال الدين الفتجوري (ف ١١٧٥ هـ / ١٧٦١ م) ، والشيخ محمد ولي بن القاضي غلام مصطفى اللكهنوي (ف ١١٩٨ هـ / ١٧٨٣ م) ، ومحمد أعلم السنديلي (ف ١١٩٨ هـ / ١٧٨٣ م) ، والملا حسن الفرنكي محلي ، وأحمد علي السنديلي (ف ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م) ، وبجر العلوم عبد العلي ، وحيدر علي السنديلي (ف ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م) ، والملا محمد ميين ، والعلامة فضل إمام الخير آبادي (ف ١٢٤٣ هـ / ١٨٠٨ -

(١٨٢٧ م) وأمين الله انفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م)
 والمفتي ظهور الله الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م)
 والقاضي محمد ارتضا علي خان ، وولي الله الفرنكي محلي ، وفتح علي القنوجي
 (ف في أواخر القرن ١٨) ومحمد قائم الإله آبادي ، والشيخ محمد
 عظيم بن كفاية الله .

٦ - حاشية المير زاهد على الرسالة القطبية المعروف في الهند بـ
 « مير زاهد رسالة » .

ومن الذين عاتقوا الشروح والحواشي عليها الشيخ أحمد عبد الحق
 ومحمد ولي اللكهنوي ، والملا حسن ، وأحمد علي السنديلي ، ومجر العلوم ،
 والملا ميين ، وحيدر علي السنديلي ، ورستم علي الراتبوري (ف ١٢٤٠ هـ /
 ٦ - ١٨٢٥ م) ، والعلامة فضل إمام أخير آبادي ، وأمين الله الفرنكي
 محلي ، والمفتي ظهور الله ، والقاضي محمد ارتضا علي خان ، والشيخ عماد
 الدين اللبكني ، ومحمد عظيم بن كفاية الله ، والشيخ محمد بركة الإله آبادي .

٧ - شرح ضابطة التمهيد :

من الشروح عليه شرح للعلامة بجر العلوم ، وشرح لعالم علي المراد
 آبادي (ف ٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م) ، وشرح للمفتي سلطان حسن البريلوي
 (ف ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م) ، وشرح لمحمد قائم الإله آبادي .

٨ - سلم العلوم للشيخ محب الله البهاري (ف ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م) :

من الذين شرحوه العلامة حمد الله الشيعي السنديلي (ف ١١٦٠ هـ /
 ١٧٤٧ م) ، والقاضي مبارك ، وأحمد عبد الحق الفرنكي محلي ، والشيخ
 محمد ولي اللكهنوي ، والملا حسن ، وأحمد علي السنديلي ، ومجر العلوم
 عبد العلي ، والملا محمد ميين ، وحيدر علي السنديلي ، والسيد دلدار علي

الشيخي (له حاشية على شرح السلم لحمد الله) ، والعلامة فضل حق الخير آبادي ، والمفتي شرف الدين الرامبوري (ف ١٢٦٨ هـ / ٢ - ١٨٥١ م) والقاضي ارتضاء علي خان ، ومحمد قائم الإله آبادي ، ومحمد عظيم بن كفاية الله ، والشيخ أحمد حسين بن محمد رضاء بن قطب الدين الشهيد السهالوي .
وفضلاً عن ذلك فإن للقرن الثامن عشر أربع ميزات على الأقل
ينفرد بها الإقليم الشامي وهي :

أ - تأليف أول كتاب مستقل كدائرة المعارف في المواد الفنية المستعملة في العلوم وهو : كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد أعلى الفاروقي التهانوي . وقد فرغ التهانوي من تأليفه سنة ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م (١) كفى تقديراً لمكانته أن المثقفين الأفرنج والعرب اعتنوا بنشره .

ب - تأليف كتابين لم يسبقهما مثيل في أي إقليم من أقاليم الهند . أحدهما التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية مع تعريفات المسائل الفقهية ، للعلامة أحمد بن أبي سعيد الأميمي المعروف بملاحيون (ف ١١٣٠ هـ / ١٧١٧ م) وآخرها نجوم الفرقان في استخراج الألفاظ والآيات من القرآن ، لمصطفى بن محمد سعيد الجونبوري ثم الأورنك آبادي (كان حياً في عهد أورنك زيب) .

ج - نبوغ أول شاعر في الهند تيسر له ديوان بالعربية وهو السيد غلام علي آزاد البلكرامي (ف ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م) . فله عشرة دواوين سوى « مظهر البركات » في البحر الفارسي على وزن المثنوي باللسان العربي

(١) ألف كتاب آخر في الموضوع نفسه بعده بأعوام في جنوب الهند وهو دستور العلماء للملا عبد النبي بن القاضي عبد الرسول الأحمدي نكري في سنة ١١٧٣ / ١٧٥٩ . انظر زيدي ٤٦٥

وسوى « مرآة الجمال » في وصف أعضاء العشقة من الرأس إلى القدم .
 د - أهم ميزة يحق لهذا العصر أن يفتخر بها هي (١) منهاج الدراسة الذي وضعه الشيخ نظام الدين السهالوي الفرنكي محلي (ف ١١٦١هـ / ٨ - ١٧٤٧م) فتلقاه علماء العصور التالية بالقبول وقرروه في معاهدهم ومدارسهم في جميع أنحاء شبه القارة الهندية الباكستانية باسم « درس نظامي » بعد شيء من التعديل والإضافة (٢) .

بعد الثورة الهندية الكفهرية جو الإقليم الشمالي من جميع النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية ، بل جرفت الهند بأسرها حينذاك موجات الانحراف الديني والانحلال الثقافي . على الرغم من ذلك ومن تغلب الإنجليزية والفنون الحديثة على اللغة العربية والعلوم اللسانية والدينية خبطت حركة التأليف بالعربية خطوات واسعة نحو تعميم أصناف العلوم من الحديث والتفسير وما يتعلق بها ، والكلام واللغة والأدب خارجة من إطار تعليق الشروح والحواشي على الكتب في الحكمة والمنطق والفقه . ففي أثناء هذه الفترة القصيرة أي من الثورة الهندية إلى أواخر القرن التاسع عشر التي تستغرق حوالي أربعين سنة ارتفعت آداب اللغة العربية فظهرت مؤلفات مهمة في المواضيع المتعلقة بالتفسير والحديث وفي الكلام واللغة والأدب ، وألفت كتب في التحريض على العمل بالكتاب والسنة الذي كان مهملًا قبل الثورة .

- (١) راجع الثقافة ١٦ منهاج Lahore , Sufi : al - Minhaj ٧٣ - ٧٥
 (٢) انظر الصورة التي كان عليها درس النظامي في أيام دراسة سربيد أحمد خان في منهاج ١٢٠ - ١٢٤ نقلًا عن تهذيب الأخلاق ٢/٤٠٨ - ٤٠٩
 ومنهاج الدراسة الراجح في دار العلوم بنديوبند والمدارس التي أنشئت على غرارها في منهاج ١٨٢ - ١٣٢

فما يلي نشير إلى بعض الكتب التي تمتاز عما تقدمها من المؤلفات بغزارة العلم الديني ووفرة الأدب العربي ، فتداولتها الأيدي في البلاد الإسلامية حتى عني بنشر بعضها علماء البلاد العربية . وهذه ميزة حُرمت منها مؤلفات قبل الثورة .

المؤلفات في المواضيع الدينية :

- ١ - « فتح البيان في مقاصد القرآن » للنواب صديق حسن خان (ف ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م) . طبع أولاً في المطبعة الكبرى الميرية بالقاهرة في عشرة أجزاء خلال ١٣٠٠ - ١٣٠٢ هـ .
- ٢ - « نيل المرام من تفسير آيات الأحكام » للنواب المذكور . مطبعة المدني بمصر ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .
- ٣ - « الدين الخالص » حث فيه النواب صديق حسن خان على العمل بالكتاب والسنة . مطبعة المدني بمصر ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .
- ٤ - « حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة » هذا الكتاب للنواب المتقدم الذكر وحيد في نوعه في الإقليم الشمالي . الجوائب بالآستانة ١٣٠١ هـ .
- ٥ - « الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد » . الجوائب ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م .
- ٦ - « الغنة ببشارة أهل الجنة » في التصوف . بولاق ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٥ م .
- ٧ - « الرفع والتكميل في الجرح والتعديل » للشيخ محمد عبد الحفي الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٣٠٤ هـ / ١٧٨٧ م) . حققه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة^(١) ونشره مكتب المطبوعات الإسلامية بجلب سنة ١٣٨٣ هـ .

(١) يقول عبد الفتاح في « التقدمة » إن الإمام محمد زاهد الكوثري كان يوصي بكتب الإمام اللكهنوي ويحض عليها . انظر ص ٩ . وذلك مما يدل على مكانة كتبه العالية في آداب اللغة العربية .

٨ - « الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة » للشيخ الفرنكسي محلي
لكهنو ١٣٢٤ هـ .

٩ - « النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير » يشتمل على ذكر
طبقة مؤلف الجامع الصغير الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ف ١٨٩ هـ /
٢٨٠٥ م) وشيخيه وطبقات الفقهاء ، وطبقات تصانيفهم ، وتفاوت مؤلفاتهم
وتراجم شراحه ، وغيره من الفقهاء . طبع مراراً في بهوبال ولكهنو .

١٠ - « الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة » قد نشر مكتب
المطبوعات الإسلامية بجلب إعلاناً في آخر « الرفع والتكميل في الجرح
والتعديل » أنه سيطلع قريباً وقال : « وهو كتاب جامع ، نادر في بابيه ،
يتمم موضوع هذا الكتاب ، ويسد فراغ علوم الحديث ، لم يقم بمثله أحد
قبل الإمام اللكهنوي رحمه الله تعالى . وقد حققه وخرج نصوصه ، وأتم
مقاصده ، وعلق عليه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة » .

١١ - « الشريعة الغراء » للمفتي مير محمد عباس التستري اللكهنوي
(ف ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م) . طبع في جزئين ضخمين في مطبعة صبيح
صادق بعظيم آباد .

١٢ - « منار الإسلام » للمفتي المذكور ، في المواعظ والحث على الأخذ
بالإسلام . طبع مرتين في جزئين في لكهنو .

١٣ - « إظهار الحق » للشيخ رحمة الله العثماني الكيرانوي (ف
١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م) في مباحث المسائل الخمس التي تعتبر بمثابة أمهات المسائل
المتنازع فيها بين المسيحيين والمسلمين ، أي النسخ ، والتحرير ، والتثليث ،
وحقيقة القرآن ، ونبوة خاتم النبيين محمد ﷺ . هذا الكتاب الجليل من
أهم الكتب التي ألفت في هذا الباب في العالم الإسلامي وعديم النظير

وفقيد المثل في القارة الهندية الباكستانية كلها . لا أدل على ما يحمله هذا الكتاب من المعرفة الواسعة ، والبراهين الساطعة في إبطال المسيحية ، وعلى مكانته في الآداب العربية ، أنه طبع مراراً في الآستانة ومصر ، وأخيراً غنت بنشره الحكومة المراكشية في سنة ١٣٨٤ هـ .

وقد أشار أولاً العلامة أحمد بن زيني دحلان على الشيخ الكرانوي أن يتجه إلى تأليفه ، ثم أمره السلطان عبد العزيز بذلك ، فألفه وعزاه إلى العلامة أحمد دحلان دون السلطان ، خوفاً من أن يخطر بباله الطمع في الدنيا فيحبط عمله الصالح هذا (١) .

اللغة والأدب وما يتعلق بهما :

١ - « القول المأنوس في صفات القاموس » للمفتي سعد الله المراد آبادي (ف ١٢٩٤ / ١٨٧٧ م) انتقد فيه المفتي القاموس لمجد الدين الفيروزآبادي . وقد أثنى عليه أحمد فارس في مقدمة الجاسوس على القاموس بقوله :

« وهو كتاب صغير الحجم لكنه جم الفوائد ، ولولا أنه وصلني بعد الفراغ من التأليف لأدرجته فيه بتمامه » .

٢ - « البلغة في أصول اللغة » يشتمل على بيان اللغة وحدها ووضعها ومبدئها وغير ذلك ، لنواب صديق حسن خان : الجواب (١٢٩٦ / ١٨٧٩ م) .

٣ - « خير الكلام في تصحيح كلام الملوك ملوك الكلام » في النحو للشيخ عبد الحي الفرنكي محلي : مطبعة علوي خان بلكنهو .

(١) « بائبل سي قرآن تك » ص ١ - ٢

- ٤ - « إزالة الجمد عن إعراب الحمد لله أكمل الحمد » للشيخ عبد الحى الفرنكي محلي : مطبعة علوي خان بلكنهو .
- ٥ - « العلكم الخفّاق من علم الاشتقاق » ، للنواب صدّيق حسن خان . الجواب ١٢٩٦ هـ ، مصر ١٣٤٦ هـ .
- ٦ - « لف القهاط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والموائد والأغلاط » . بهوبال ١٢٩١ هـ و ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٩ م .
- ٧ - « التحفة الوزيرية » للشيخ عبد الحق العمري الخير آبادي (ف ١٣١٦ هـ / ١٨٩٦ م) لم يطبع إلى الآن . ولكني رأيت نسخة خطية منه عند محمود البركاتي الطيب بكراتشي ووجدته على غرار الكافية في مسائل النحو وترتيبها ، ولكنه أسهل منه بياناً وتناولاً .
- ٨ - « غصن البان المورق بحسنات البيان » ، في البيان والمعاني والبديع للنواب صديق حسن خان : الجواب بأستانة .
- ٩ - « نشوة السكران من صهباء تذكّر الغزلان » ، في الأدب للنواب المذكور : الجواب ١٢٩٦ هـ .
- ١٠ - « روائع القرآن من مجاز » في الأدب ، للمفتي مير محمد عباس التستري : طبع مراراً في لکنهو .
- ١١ - « أجناس الجناس » منظوم المفتي مير محمد عباس التستري . يحتوي على حوالى ألفي بيت وكل بيت منه مرصع بنوع من التجنيس : مطبعة بستان مرتضوي بلکنهو ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م
- ١٢ - « ظلّ ممدود » ، في الأدب للمفتي المذكور آنفاً . طبع مرتين في لکنهو .

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى الشاعر الشيخ أُوحد الدين البلكرامي الذي لم يكن مغرمًا بالمحسنات اللفظية كغيره من الشعراء في البقاع الإسلامية ، فشعره يجمع بين الرقة والمتانة . وإلى فيض الحسن السهارنبوري « ف ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م ، الذي امتلك ناصية اللغة وتفنن في قول الشعر . وقد طبع ديوانه في حيدر آباد الالكن سنة ١٣٢٤ هـ .

فهذه إلمامة موجزة بتطور الثقافة العربية الإسلامية في الهند وامتدادها إلى الإقليم الشمالي الهندي .

الدكتور جميل أحمد

محاضر في اللغة العربية بجامعة كراتشي